

أمهات المؤمنين : عائشة بنت أبي بكر 5 - ورعها, زهدها, مكانتها العلمية



1997-10-13

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم, ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

ما كتب في كتاب حلية الأولياء عن السيدة عائشة :

أيها الأخوة الكرام, مع سير الصحابيات الجليلات رضوان الله عليهن أجمعين، ومع سير زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن في سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد وصلنا إلى فصلٍ عن ورعها وتقواها .
أيها الأخوة, عقّد الحافظ أبو نعيم ترجمةً لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتابه (حلية الأولياء)، قال في مستهل هذا الكتاب: إن عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأولياء .



ولكن يجب أن تعلموا, أن كل واحدٍ منكم يجب أن يكون ولياً، لأن تعريف الولاية في القرآن الكريم:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة قیونس الآية: 62-63]

تعريفٌ بسيطٌ، جامعٌ، مانعٌ، كل من عرف الله، واتقى أن يعصيه، فهو وليُّ الله، وأعظم ثمرة ينالها وليُّ الله، قال تعالى:

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة قیونس الآية: 62]

الماضي مغطى ولا هم يحزنون، والمستقبل مغطى لا خوف عليهم، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة قیونس الآية: 62]

الماضي مغطى بعدم الحزن على ما فاتك من الدنيا، والمستقبل مغطى بعدم الخوف، والإنسان دائماً



يحزن على ما مضى، ويخاف مما سيأتي، الآية الكريمة:

﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَقِ﴾

[سورة طه الآية: 123]

لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، قال تعالى:

﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 38]

أعظم ثمار الإيمان: ألا يضل عقلك، وألا تشقى نفسك، وألا تندم على ما فات، وألا تخشى مما هو آت، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة قیونس الآية: 62]

ابتغوا الرفعة عند الله، لا يليق بك أيها الإنسان أن تكون لغير الله، يجب أن تكون محسوباً على الله لا



المرأة كالرجل تصل لأعلى مراتب الإيمان

على عبد الله، أجل على الله، أنت ولي الله، يجب أن تكون علاقتك بالله طيبة جداً، يجب أن تكون قريباً من الله. السيدة عائشة كما قال عنها الحافظ أبو نعيم: والصديقة بنت الصديق، والعتيقة بنت العتيق، وحببية الحبيب، واليعة القريب، سيد المرسلين، والميرأة من العيوب، والمعرة من ارتياب القلوب، كانت للدنيا قالية، وعن سرورها لاهية، وعلى فقد أليفها باكية، الميرأة في الكتاب، هذه أوصاف جامعة مانعة للسيدة عائشة رضي الله عنها. أيها الأخوة الكرام، هذا درس يعطينا حقيقة خطيرة: أن المرأة كالرجل، يمكن أن تصل إلى أعلى المراتب في الإيمان، ويمكن أن تكون قمة في معرفة الله، والسيدة عائشة من هذا القبيل، المرأة كالرجل تماماً مساوية له في التكليف، والتشريف، والمسؤولية.

ما قيل عن حب النبي لعائشة وما قيل عنها:

كان أحد الصحابة إذا حدث عن عائشة يقول:

((حدثتني الصديقة بنت الصديق، وحببية حبيب الله))

فالإنسان يحب الرفعة، يحب الكمال، هل تعلم أنه ما من مرتبة على الإطلاق أعلى من أن تكون مع الله، أن تكون حبيب الله، أن تكون ولي الله، أن تكون مقرّباً إلى الله، أن تكون في عين الله، أن تكون مصافياً لله، هذه مرتبة لا يعرفها إلا من ذاقها.

قال أنس رضي الله عنه:

((أول حب كان في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها))



فيجب أن تعلم أنه ما من شيء أودعه الله عزّ وجل في الإنسان إلا جعل له قناة نظيفة، فإن تحب زوجتك هذا مما يرضي الله، علاقتك بالأنثى بالعصر الحالي مليون علاقة محرّمة، مليون علاقة مشبوهة، مليون علاقة آثمة، مليون علاقة تحجبك عن الله، إلا علاقة الزواج؛ هذه علاقة يرضي الله عنها، هذه علاقة كلما تمتنت اقتربت من الله. كانت هذه السيدة الجلييلة تسأل النبي عليه الصلاة والسلام:

((كيف حبك لي؟ فكان عليه الصلاة والسلام يقول: كعقدة الحبل، فكنت أقول من حين إلى آخر: يا رسول الله، كيف العقدة؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: على حالها))

إذاً: أن تمتنّ علاقتك بزواجك فهذا من منحه الله، أن ترحمها هذا من منحه الله، أن تحبها هذا من منحه الله.



ولعلّ الله سبحانه وتعالى حينما أعطى المرأة هذا الشكل المحبّب، وهذه الوداعة، وهذا اللطف، وهذه

الرفقة، أراد منك أن تحبها الحب الذي يرضي الله عنك، الحب الذي يثمر أولاداً أطهاراً، الحب الذي يؤسس أسرة، فالحب يتوهمه الناس فقط عند الكفار، فقط عند الفسقة، الحب بأعلى مستوياته في رحاب الإيمان، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب السيدة عائشة حباً شديداً، وهو أول حب في الإسلام، حب مشروع، الإنسان حينما يبحث عن الحرام يشعر بالكآبة، يشعر بالخزي والعار. امرأة تعمل في الفن في فرنسا سألوها: ما شعورك وأنت على خشبة المسرح؟ قالت: شعور الخزي والعار، وهذا شعور كل أنثى تعرض مفاتنها على الجمهور، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين، وفي عرف مغلقة. هذا الحب المشروع في الإسلام بينك وبين زوجتك، وكلما تمتنت العلاقة بينكما رضي الله عنكما. هذه المرأة الصحابيّة الجلييلة التي كان ولدها على وشك الموت، فجاء زوجها في المساء، سألتها عن حال الولد، فقالت:

((يا أبا طلحة إنه في أهدأ حال، وعتت أنه قد مات، لأنه هادي، تزئنت له، وأصاب منها، وفي الصباح قالت له: لو أن الجيران أعاروك عارية ثم استرجعوا منك،

أغضب؟ قال: لا، قالت: هكذا فعل الله معنا، أعطانا هذا الغلام ثم استردّه، ثم ذكر أبو طلحة هذا الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام، فقال عليه الصلاة والسلام:

((بَارَكَ اللهُ لَكُمْ فِي لَيْلَتِكُمْ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

وقد تروي الكتب أنه تزوج وأنجب عشرة من الحُفَاط، هما أنجبا ولداً، وهذا الولد أنجب عشرة حفاظ لكتاب الله.

إذاً: ما من شيء أودعه الله عزّ وجل في الإنسان إلا جعل له قناة نظيفة، في الإسلام ليس هناك حرمان، لكن أقدس حب أن تحب زوجتك.

مرّة كنا في الجامعة أحد الأساتذة الكبار، أحيل إلى التقاعد، أقيمت له حفلة كبيرة جداً لوداعه، أنا أذكر أنه بعد أن سمع كلمات التكريم والوداع، قام وقال هذه الكلمة، قال: كل إنسان لا يشعر بحاجة إلى أن يُحِب، كما أنه لا يشعر بحاجة إلى أن يُحَب، ليس من بني البشر.



إذا كنت من بني البشر, يجب أن تشعر بحاجة إلى أن تُحِب، وينبغي أن تشعر بحاجة إلى أن تُحَب، ماذا

نحب؟ نحب زوجاتنا، ونحب أولادنا، ونحب أعمالنا، ونحب الحقيقة، وأعلى أنواع الحب: أن تحب الله جل جلاله، أي هذا أعلى حب، أي حب آخر يتناقص، أي حب آخر ينقطع بالموت، لكن حب الله جل جلاله أبدي سرمدي .

وتعليق سريع: الحب الذي ينشأ في الحرام يتناقص، والحب الذي ينشأ في رحاب الإيمان يتنامى، فإذا كنت مؤمناً فحبك لأهلك يتنامى .
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأم المؤمنين:

((كنت أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيباً .



-أي أن مقام النبي عليه الصلاة والسلام ماذا يليق به أن يحب؟ أيحب امرأة لجمالها فقط؟ بل أن يحبها

لكمالها، ولعلمها، ولخلقها، ولمحبتها الله عز وجل، حب النبي مؤثر كبير جداً، هل يعقل أن يحب النبي إلا طيباً؟ .
وقال: هلكت قِلاَدتك بالآبَاءِ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقطها، وبعدها لم يجد ماءً للوضوء، فأنزل الله عز وجل:

{فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً}

[سورة النساء الآية: 43]

- وهذه الآية التي سمحت للمسلم بالتيمم- قال: كان بسببك ويركتك ما أنزل الله تعالى لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، فليس مسجد يُذكر الله فيه إلا وشأنك يتلى فيه أناء الله وأطراف النهار .

فهل من السهولة أن يذكر الله في كتابه الكريم، الذي نقرؤه متعبدين إلى أبد الأبد، أن يذكر فيه اسم صحابي، أو أن ينوّه القرآن بامرأة في القرآن الكريم؟ .
قد يقول أحدكم: أي صحابي ذكر اسمه في القرآن الكريم؟ صحابي واحد هو سيدنا زيد، لكن لماذا ذكر اسمه؟ لأنه كان متبني النبي عليه الصلاة والسلام، واسمه زيد بن محمد، فلما أراد الله عز وجل أن يبطل هذه العادة، عادة التبني، وبدأ بالنبي عليه الصلاة والسلام، فحسر هذا الاسم زيد بن محمد، فعوّضه الله خيراً من هذا، حين ذكر اسمه في القرآن، في كتاب الله يتلى إلى يوم القيامة، اسمه في القرآن الكريم، قال تعالى:

{فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَّ أَرْوَاحُهُمْ}

[سورة الأحزاب الآية: 37]

قالت: يابن عباس، دعني منك، ومن تزكيتك، فو الله لو ددت أنني كنت نسياً منسياً))



بعض الناس لديهم مرض استجداء المديح

معنى ذلك: أن المخلص لا يلتفت إلى مديح الناس، ومديح الناس لا يملأ قلبه، المخلص يريد الله عزَّ وجل، أن يكون الله ارضياً عنه، أما الناس فلا يعبأ كثيراً بمدحهم وبتوقيرهم . هناك مرض نفسي يصيب بعض الناس، وهو استجداء المديح، وأي إذا أنت لم تمدحه فإنه يذكرك بشيء من أجل أن تمدحه، إذا أنت لم تثن عليه يلفت نظرك لشيء، فإذا كان قد دعاك إلى طعام يسألك: أما أحببت الأكل؟ لتقول له: أعوذ بالله أكل ممتاز، الله يعطيك العافية، أو يسألك مثلاً: كيف كانت هذه المحاضرة؟ كيف وجدت هذا الدرس؟ مارأيك بهذا الكتاب؟ إذا أنت لم تثن عليه، فقد يواجهاك بمشكلة، هذا مرض اسمه: استجداء المديح .
أما الإنسان إذا كان مخلصاً لله عزَّ وجل، فإنه فوق هذا بكثير، دعك يا بن عباس من هذه التزكية، فوالله لو ددت أني كنت نسياً منسياً .



الإنسان يحب بقاء نوعه

فالإنسان يحب أشياء ثلاثة؛ يحب بقاء وجوده: عن طريق الطعام والشراب، ويحب بقاء نوعه: عن

طريق الزواج، ويحب بقاء ذكره: عن طريق تأكيد الذات، فكل واحد من بني البشر هكذا فطر؛ يحب أن يبقى ذكره، يحب أن يؤكد ذاته، يحب أن يكون له أهمية كبيرة، لكن هذه الأشياء الثلاثة يمكن أن تحقق في الخير، فإذا قرأت القرآن، وتعلمت القرآن، وعلمت القرآن، واقتربت من الواحد الديان، يرفع الله ذكرك، قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية: 1-4]

وكل مؤمن له من هذه الآية نصيب، قال تعالى:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية: 4]

أنت بالطعام والشراب تحافظ على وجودك، وبالزواج تحافظ على نوعك، وبالعمل الصالح، ومعرفة



بالطعام والشراب تحافظ على وجودك

الله، والاستقامة على أمره، يرفع الله لك ذكرك بين الناس، دون أن يكون هذا الرفع بطريق غير مشروع .
عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((رأيتك يا رسول الله واضعاً يدك على معرفة فرسين، - أي على عرف الفرس- وأنت قائمٌ تكلمٌ بحجة الكليبي، فقال عليه الصلاة والسلام: أو قد رأيتَه؟ قالت: نعم، قال: فإنه

جبريل وهو يقرئك السلام .

-أحياناً إنسان يمدحه عليه القوم، فيز هو بهذا المديح، وأحياناً يمدحه الساقطون والساقطات، وهذا مديحٌ لا قيمة له، فالعبرة من الذي يمدحك؟ من الذي أنت عنده كبير؟ من الذي ترقى عنده؟ المؤمن له عند الله مقعد صدق، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ * فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[سورة القمر الآية: 54-55]

فلما قال لها: وهو بقرتك السلام، قالت: وعليه السلام، ورحمة الله، وجزاه الله خيراً من زائر، فنعيم الصاحب، ونعم الداخل))

ماذا عن زهد عائشة وإنفاقها في سبيل الله؟

أما زهد هذه السيدة الجلييلة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعن القاسم بن محمد قال:

((كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، تصوم حتى يزلقها الصوم))

أي يجهدا.

وعن ابن المنكدر، عن أم ذر، وكانت صاحبة عائشة، قالت:

((بعث إليها بمال أراه ثمانين أو مئة ألف، فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسم بين الناس، فأمسدت وما عندها من ذلك درهم واحد .



-أهل بيت النبي على شاكلته النبي، أهل بيت النبي جزء من الدعوة، فالناس لا يصدقونك إذا كنت أنت

في واد، وأهلك في واد آخر، ولم تهتم بتربيتهم، أهل بيت النبي جزء من الدعوة، وهناك سؤال كبير: إذا لم تستطع أن تربي أهلك، هذا المنهج غير واقعي، وإن كان بالإمكان أن تفعل فلم تفعل، فأنت مقصّر، فما جوابك؟ ما من جواب، لذلك:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 33]

تولّى الله بنفسه تطهير أهل بيت النبي، لأنهم جزء من الدعوة، أنت متى تثق بإنسان؟ إن رأيت في حياته الخاصة مستقيماً، إن رأيت يقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، فإذا لم تكن هناك مسافة أبداً بين القول والعمل ترقى بذلك، لذلك يعد أهل بيت النبي جزءاً من الدعوة إلى الله، إذا كان هناك تقصير أو خلل، فالدعوة عرجت - فلما أمسدت قالت: يا جارية أين فطوري؟ فجاءتها بخبز وزيت، مئة ألف ورعتها وهي صائمة، ولم تبق منها شيئاً، فجاءت بخبز وزيت، قالت لها أم ذر: أما استطعت مما قسمت اليوم، أن تشتري لنا لحماً بدرهم، نفطر عليه؟)) قال تعالى:

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

[سورة الحشر الآية: 9]

وقال عروة:

((لقد رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفاً، وإنها لترقع جيب درهما))

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((يا عائشة، إذا أردت اللُحوقَ بي، فليُكفك من الدنيا كَرَادِ الرَّاكِبِ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتُخْلِفِي ثُوبًا حَتَّىٰ تُرْفِعِيه))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وعن عروة أيضاً:

((أن معاوية بعث إلى عائشة رضي الله عنها بمئة ألف، فو الله ما غابت الشمس عن ذلك اليوم حتى فرقتها، قالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم

لحماً، قالت: لو قلت قبل أن أفرقها لفعلت))

هذا من زهد هذه السيدة، طبعاً من النادر أن ترى امرأة زاهدة، بل إن شأن النساء أن يحملن أزواجهن على ما لا يطيقون، لذلك حين قال الله عز وجل:

{إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوَّكُمْ}

[سورة النعيمان الآية: 14]

قال علماء التفسير: هذه عداوة مآل وليست عداوة حال، بمعنى أن الرجل حينما يأتيه ملك الموت، ويستحق العذاب على ما أكل من أموال حرام، وأن زوجته كانت هي السبب دفعته إلى أكل المال الحرام، عندئذ تنشأ عداوة متأخرة بينه وبين زوجته، لو لاها لما كان في النار، لذلك: أعظم النساء بركةً على زوجها أقلهن مؤنةً. أعظم امرأة هي التي لا تكلف زوجها ما لا يطيق، لا تحمله على معصية، لا تحمله أن يجهد في كسب الرزق، لا تحمله على أن يأكل مآلاً حراماً، هذه هي المرأة الصالحة، لا التي تضغط على زوجها، حتى يهين لها مسكناً فخماً، واثاثاً أقيماً تنبأه به، وزوجها يتقلب في النار، لا .



النساء في زماننا يبالغن في تزيين بيوتهن

زوجة طلبت من زوجها بعض الأشياء الغالية، فقال لها: أيتها المرأة إن في الجنة من الحور العين ما

لو أطلت إحداهن على الأرض، لغلغبت نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحى بك من أجلهن أهون من أن أضحى بهن من أجلك . المؤمن لا يستجيب لطلب يغضب الله، أو يبعده عن الله .

عن عبد الرحمن بن القاسم أنه قال: أهدى معاوية لعائشة ثياباً وورقاً، أي فضةً، وأشياء توضع في أسطواناتها، الأسطوانة خزانة الثياب، فلما خرجت عائشة، نظرت إليه فبكت، ثم قالت: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يجد هذا، ثم فرقت له منه شيء، وعندها ضيف، فلما أفطرت، وكانت تصوم من بعد رسول الله، أفطرت على خبز وزيت، فقالت المرأة: يا أم المؤمنين، لو أمرت بدرهم من الذي أهدى إليك، فاشتري لنا به لحماً فنأكله، فقالت عائشة رضي الله عنها: كلي فو الله ما بقي عندنا منه شيء، هكذا إنفاقها، وهكذا هدها .

فالنساء في زماننا، يبالغن في تزيين البيت، فيأتي ملك الموت، فيذهبن إلى الأخرى صغرات اليبدين .

مكائنها العلمية :

روى هشام بن عروة عن أبيه، قال:

((ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بقرضية، ولا بحلالٍ وحرام، ولا بشعر، ولا بحديث، ولا بنسب، من عائشة رضي الله عنها))



إذا علمت فتاة علمت أسرة

كانت متفوقةً في هذه العلوم، والحقيقة بيني وبينكم: ليس في المرأة شيء أروع من أن تكون عالمة،

جمعت المجد من كل أطرافه، هي محببة، ومؤنسة، وغالية، ورقيقة، فإذا كانت عالمة، فقيهة، تحفظ كتاب الله، تعرف الحق من الباطل، الحلال من الحرام، الخير من الشر، ما ينبغي وما لا ينبغي، تربي أولادها تربيةً راقية، لذلك إذا علمت فتاة علمت أسرة .

فأنا لا أكتفكم أن في جامعتنا عدداً كبيراً من أخوة كرام، سبب هدايتهم زوجاتهم اللواتي عرفن الله قبل الزواج، فحملن أزواجهن على طاعة الله، وهذه نعمة كبرى، وليس في المرأة شيء أبشع من الجهل، وليس شيء في المرأة أبشع من أن تنبأه بما عندها، وما عند زوجها، وتكسر قلب أقرانها، وتستعلي عليهن، شيطانة ولو أنها تدعي أنها مسلمة . كان عروة يقول:

((يا أمه، كيف أعجب من فقهك؛ إنك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنة أبي بكر؟!))

أي لا يلبق بالإنسان أن يكون هو عالم وزوجته جاهلة، هو في أعلى درجة من العلم، وزوجته في أدنى درجة من الجهل .

حدثني أخ فقال لي: رجل عنده مكتبة قيمة جداً، وعنده كتاب نادر، رجوناه رجاء حاراً أن نستعيره منه ليلة واحدة، فلم يرض أبداً، أقسم بالله بعد موته، أنه رأى الكتاب في حاوية القمامة .

أحياناً تجد الزوج متعلماً، وعنده مكتبة قيّمة، وله زوجة لا ترى هذه الكتب إلا عبثاً، يجب أن يلقي في سلة المهملات، جاهلة، فالحقيقة الرائعة: أن الإنسان جميل أن يكون له زوجة، وتكون زوجته رفيقته، وإذا كان هو متعلماً، ويطلب العلم الشرعي، وزوجته كذلك، تصبح إضافة إلى أنها زوجته، فهي رفيقته.



فأنت لاحظ نفسك، تجلس مع أخ مؤمن ساعتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً، فلا تمل منه، لماذا؟! لأنه

على شاكلتك، يقدر ما تقدر، يحب ما تحب، يعظم ما تعظم، يكره ما تكره، بينكما انسجام، ومن الممكن أن تجلس مع إنسان عشر ساعات، ولا تمل من حديثه، إذا كان على شاكلتك، وكان في مستوى ثقافتك، في مستوى إيمانك، في مستوى تفكيرك، في مستوى قيمك، ولكن إنساناً آخر قد لا تستطيع أن تحدثه كلمة واحدة، قد لا تستطيع أن تجلس معه ولا ربع ساعة، فما من قواسم مشتركة بينكما.

فإنسان إذا تزوج، فهذه الزوجة يعرفها كلياً بعد حين، انتهت أيام الخطبة، ويمكن أن تكون المكالمات ثلاث ساعات حين الخطبة، لكن بعد سنتين انتهى كل هذا، فإن لم تكن هذه الزوجة على شاكلتك زوجها، فلن تكون محببة إليه، لذلك اهتم أيها المؤمن بتعليم زوجتك العلم الشرعي، كي تغدو رفيقة لك، فضلاً عن أنها زوجة لك، كما أنها عالمة. وقد عجب منها بعض الصحابة حينما علموا أنها كانت عالمة بالطب.

قالت:

((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم في آخر عمره، فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه، فتتعت له، -أي تصف له الأدوية- فكانت أعالجه، فمن ثم علمت أساليب الطب))

فكانت بارعة بالطب.

وقال أبو موسى:

((ما أشكل علينا أمرٌ، فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها فيه علماً))

وقال بعض العلماء:

((لو اجتمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، و علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل))



فالنبي اللهم صل عليه، علمنا أن نقدر زوجاتنا، هل تصدقون أنه استشار أم سلمة في موقف عصيب

في صلح الحديبية، وأشارت عليه أن يتحلل هو من إحرامه، وأن يحلق، فيقلده الصحابة عندئذ؟ وهذا الذي حصل، لذلك قال تعالى في معرض ذكر النساء:

((وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ))

[سورة الطلاق الآية:6]

تناصحوا ليأمر كل منكم الطرف الآخر بما هو خير، أي تأمرها وتأمرك، تنصحاها وتنصحك.

وقال أبو الزناد:

((ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة، فقبل له: ما أرواك؟ قال: روايتي من عائشة))

وقال عطاء بن رباح:

((كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة))

((رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكاابر، يسألونها عن الفرائض))

من خصوصيات السيدة عائشة :

ما الأمور التي امتازت بها عائشة رضي الله عنها؟ .

قالت عائشة:

((فضلت بعشري، فذكرت من هذه العشر؛ مجيء جبريل بصوتها، -أي أن جبريل جاء بصوتها، لأن صوتها يؤنس رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولم ينكح بكرًا، ولا امرأة، أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله برأيتي من السماء، وكان عليه الصلاة والسلام ينزل عليه الوحي وهو معي، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، وقُبض بين سحري ونحري في بيتي، وفي ليلتي، ودفن في بيتي))

هذا مما اختلفت به هذه السيدة الجليلة .

من افتراءات أعداء الإسلام في التاريخ :

نحن في تاريخنا الإسلامي موقعة اسمها: موقعة الجمل، والسيدة عائشة كانت طرفاً فيها، وهناك أقوال كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان، هناك افتراءات عديدة، هناك مبالغت سخيقة، لكن فيصل هذا الموضوع ما ورد:

أن قتلة عثمان رضي الله عنه خافوا أن يتفق علي رضي الله عنه مع طلحة والزبير وعائشة على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة، فظنوا أن علياً حمل عليه، فحملوا دفاعاً عن أنفسهم، فظن علي أنهم حملوا عليه، فحمل دفاعاً عن نفسه .

هذان السطران لهما قيمة كبيرة جداً في التاريخ، وهذا يحدث دائماً بين فريقين، يأتي فريق ثالث يضرب هؤلاء ويضرب هؤلاء، يظن هؤلاء أن هؤلاء حملوا عليهم، فيدفعوا عن أنفسهم، ويظن هؤلاء أن هؤلاء حملوا عليهم، فيدفعوا عن أنفسهم، والفريقان يريدون جداً من نية القتل ونية الفتنة، وهذا الذي حدث، معركة الجمل حجمها صغير جداً، أعداء الإسلام كبروا حجمها، وأضافوا عليها ما ليس منها، أرادوا تشويه سمعة المسلمين .



أي جرى سوء تفاهم، والأطراف كلهم اجتهدوا، والمجتهد له أجرٌ إذا أخطأ، لكن النبي عليه الصلاة

والسلام قال: إذا دُكِر أصحابي فأمسكوا .

معركة الجمل وقعت، ولكن حجمها الحقيقي أقل بألف مرة من حجمها الذي في الكُتب، لأن أعداء الدين يريدون أن يشنوا هوسا سمعة الصدر الأول من الإسلام، وهذه الحقيقة، وقد تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

لسورة الأنبياء الآية: 17

اسألوا علماء التاريخ، اسألوا المحققين، اسألوا المنصفين، اسألوا الذين مَحَصُوا هذه الروايات، أكثرها مبالغٌ فيه، وما أنزل الله به من سلطان . كان عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهه يوقِّر أم المؤمنين عائشة، ويجلها، وكان دائماً يُدَكِّر بمقامها السامي الكريم .

وقد قال عمار بن ياسر: سمعت علياً كَرَّمَ اللهُ وجهه يقول على المنبر: إنها لزوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ويعني عائشة، وكانت عائشة تجلُّ علياً وتوقِّره .

وكل ما كان بين الصحابة من الخلاف، لم يكن سبباً للعداوة، والكرهية، والبغضاء فيما بينهم، بل كانت نتيجة اجتهاداتٍ قد أعذر الله بعضهم بعضاً، رضي الله تعالى عنهم جميعاً، وحشرنا في زمريهم .

لا يليق بممَرِّض أن يقمَّ طبيبين كبيرين، اختلفا في وجهات النظر، لا يليق بجنديٍّ غير أن يقمَّ قائدي جيشين، اختلفا في وجهات النظر، فنحن لسنا أهلاً أن نقمَّ الفريقين، قال عليه الصلاة والسلام: إذا دُكِر أصحابي فأمسكوا .

موقعة الجمل حجمها صغيرٌ جداً جداً، بالغها أعداء الإسلام، ضخموا تضخيماً غير معقول، وأصل هذا التضخيم أن فريقاً ثالثاً لعب دور الفتنة .

أنا سمعت عن حرب أهلية -انتهت والحمد لله- في بلد مجاور سنوات طويلة، كلما وقعت هدنة بين الفريقين، جاء فريق ثالث وضرب الفريقين، فنتشعل وهكذا، فهذا أسلوب قذر وقديم، فريق ثالث ليس في صالحه أن يتفق الفريقان، فكلما عقدت هدنة بينهما ضرب الأول وضرب الثاني، يظن الأول أن الثاني نقض العهد فيحمل عليه، والأول كذلك . فإذا أردت أن تعطي تفسيراً دقيقاً جامعاً مانعاً لهذه الموقعة: فهذا هو حجمها، فريق منحرفٌ هجينٌ، أراد أن يوقع الفتنة بين الفريقين، والإنسان محاسبٌ على نيته، واجتهاده إذا

أخطأ فيه، فله أجر .

الخاتمة:

وفي درسٍ قادمٍ إن شاء الله، ننتقل إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها .

-